الذين يفهمون كلامنا واشارتنا لكنها ليست كذلك فانا نعلم بالضرورة اشد نقصا من الصبي
لا يعرف هذه الامور فبان يمتنع ذلك اولى واذا ثبت انها لا يعرفون الله تعالى استحال كونها
مسبحة له بالنطق فثبت انها لا تسبح الله الا بلسان الحال وقال بعض اهل العلم انا نشاهد
ان الله تعالى الهم الطيور وسائر الحشرات اعمالا لطيفة يعجز عنها اكثر العقلاء واذا كان كذلك
فلم يجوز ان يلهمها معرفته ودعاءه وتسبيحه وان كانت غير عارفة بسائر الامور التي يعرفها
الناس فالمصنف اختار ما ذهب اليه المتكلمون ثم اشار الى قول هذا البعض بقوله مع انه
لا يبعد ان يلهم الله تعالى الطير الخ ود فانه الخالق لهما اه مع قوله واليه المرجع اشارة
الآية الكريمة مع وجازة نظمها تدل على انه تع مبدا جميع الكائنات ومعادها وكفى بهذا موعظة
وموعظة ود بان يكون قزعا وهو بفتحتين قطع من السحاب رقيقة والمقصود الاشارة
الى دفع ما يقال من ان لفظ بين لا يستعمل الا مضافا الى متعدد وههنا قد اضيف الى ضمير سحاب
وهو شيء واحد وحاصل الجواب ان لفظ السحاب اسم جنس يصح اطلاقه على سحابة واحدة
وما فوقها والمراد ههنا قطع السحاب بقرينة اضافة بين الى ضميره وجعل شيئا فوق شيء حتى
تجعله ركاما مجتمعا ود اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا على ان الاولى
لابتداء الغاية وهي كذلك بالاتفاق وكذلك الثانية بناء على انها مع مجرورها بدل من الاولى بدل
اشتمال باعادة العامل ولا يستقيم البدلية الا بتوافقهما في المعنى فلو قلت خرجت من بصرى
من محلة كذا لا يكون الاولى والثانية الا لابتداء الغاية وبين الجبال بقوله من برد اي
ينزل من جبال هي برد في السماء هي برد وان جعلت الثانية وقد زعم ينزل الا ان البرد
في حكم تكرير العامل فعلى هذا الوجه وجب ان يكون مفعول ينزل محذوفا وهو بردا لان المنزل
من جبال هو البرد وان جعلت الثانية للتبعيض والثالثة للبيان يكون من جبال مفعول ينزل
والمعنى وينزل من السماء بعض جبال التي هي البرد فالمنزل برد لان بعض البرد برد وان
جعلت الاوليان للابتداء والثالثة للتبعيض يكون المفعول من برد والمعنى وينزل بعض
برد من السماء من جبال اي قطع عظام كائنة في السحاب شبه الجبال في عظمها او في جمودها
وصلابتها فان الجسم الشديد المنجمد يقال له جبل لتحجره وجموده ود فيبرد الهواء
يعني ان ما ذكر من السحاب والمطر والثلج والبرد يتكون في الاغلب من تكاثف البخار وقد
يتكون من تكاثف الهواء اما الاولى فان البخار الصاعد ان كان قليلا وكان في الهواء من
الحرارة ما يحلل ذلك البخار فيحلل وينقلب هواء وان كان البخار كثيرا او لم يكن في الهواء من الحرارة
ما يحلله فتلك الابخرة المتصاعدة اما ان تبلغ في صعودها الى الطبقة الباردة من الهواء

الهواء او لا تبلغ فان بلغت فاما ان يكون البرد قويا او لا يكون فان لم يكن البرد هناك قويا
تكاثف ذلك البخار بذلك القدر من البرد واجتمع وتقاطر فالبخار المجتمع هو السحاب والمتقاطر
هو المطر واما ان كان البرد هناك شديدا فلا يخ اما ان يصل البرد الى الاجزاء البخارية قبل
اجتماعها وانعقادها حبات او بعد صيرورتها كذلك فان كان على الوجه الاول نزل ثلجا
وان كان على الوجه الثاني نزل بردا وقد ينعقد السحاب بانقباض الهواء وذلك عند ما يبرد
الهواء بردا مفرطا الخ ود والضمير اي ضمير به للبرد بان يصيب الله تعالى بذلك البرد
من يشاء من الناس فيضر في زرعه وثمرته وماشيته ويصرفه عمن يشاء فلا يضره في شيء منها
ود ضوء برقه يعني ان السنا مقصود بمعنى الضوء يقال سنا يسنو سنا اي اضاء يضيء والمعنى
يكاد ضوء برق السحاب يذهب بالابصار من شدة ضوءه والبرق الذي يكون صفته
ذلك لابد وان يكون نارا عظيمة خالصة فان النار ضد الماء والبرد فظهوره في خلال السحاب
يقتضي ظهور الضد وذلك لا يمكن الا بقدرة قادر حكيم ود فيما تقدم ذكره من عجائب صنيعه
من قوله يزجي سحابا الى قوله يقلب الله الليل والنهار واعلم انه تعالى استدل على وحدانيته اولا
بقوله الم تر ان الله يسبح له وثانيا بقوله الم تر ان الله يزجي سحابا فالاول استدلال باحوال
اهل السماء والارض والثاني استدلال بالآثار العلوية ثم استدل ثالثا باحوال الحيوانات فقال و
الله خلق كل دابة من ماء واختار المص ان تكون كلمة من متعلقة بخلق وانها لابتداء الغاية
والمعنى خلق من كل دابة فورد عليه ان كثيرا من الحيوانات لم تخلق من الماء سواء فسر الماء
بالجنس الذي هو احد العناصر الاربع او بماء الذكر والانثى وهو النطفة كالملائكة فانهم خلقوا
من نور والجن فانهم خلقوا من نار وكآدم فانه خلق من تراب وكعيسى فانه خلق من روح
قال الله تعالى خلقه من تراب وقال فنفخنا فيها من روحنا واشار المص بقوله حيوان يدب
على الارض الى ان الدابة ليس عبارة عن مطلق ما يمشي ويتحرك بل هي اسم للحيوان الذي يدب
على الارض ومسكنه هناك فيخرج عنها الملائكة والجن واشار الى دفع الانتقاض بآدم وعيسى عم
بان المراد من الماء ما هو احد العناصر وبكونه مبدا الخلقة كونه جزءا من مادة كل دابة فان
اعضاء الحيوان لا تخلو عن رطوبة ما فالظاهر على هذا ان يكون تنوين دابة للافراد وان يكون
كل بمعنى الجميع وان يكون تنوين ماء للوحدة الجنسية او النوعية والمعنى خلق جميع افراد الدابة
مع اختلاف اشكالها وطبايعها من شيء واحد هو عنصر الماء او النطفة فلا بد ان يكون
اختصاص كل واحد منها بما يخصها مستندا الى صانع قادر على كل شيء ثم اشار بقوله وقيل من ماء
متعلق بدابة اي متعلق بمحذوف على انه صفة لدابة الى جواب آخر لانه اذا كان المعنى كل دابة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)